المحاضرة الثانية عشر

المنهج البنيوي:

تعني البنيوية لغة البناء او الطريقة التي يقام بها مبني ما، واصطلاحاً تطلق على منهج فكري يقوم على البحث عن العلاقات التي تعطي للعناصر المتحدة قيمة وضعها في مجموع منتظم، مما يجعل من الممكن ادراك هذه المجموعات في اوضاعها الدالة.

وما يهمنا هنا ما يتعلق بالنقد، يعد النقد البنيوي اساساً تياراً نقدياً ضمن تيارات نقدية عديدة، تنظر الى النص الادبي كياناً لغوياً قائماً بذاته، ومن ثم ينصب اهتمامها على تحليل النص من حيث الفاظه وجميله وتراكيبه ومجازاته وصوره الشعرية.

إن النقد البنيوي يتمركز حول النص ويعزله عن كل شيء، المؤلف والمجتمع والظروف التي نشأ فيها، ويرى ان الواقع الوحيد الذي يقوم علية الادب لا يخرج عن الخطاب أو اللغة، من هنا تنصب عنايته على طبيعة الخطاب وادواته والعلاقات التي تربط بين هذه الادوات، فالعمل الادبي كله دال، (واذا كانت اللغة هي المادة الاولية التي يستخدمها الكاتب، فان النقد الادبي الذي ينحو الى تكوين لون من المعرفة عن هذه الاعمال اللغوية، من حقه – بل من واجبه – ان يرتكز على مقولات علم اللغة، وان يطلب منه اساساً الاجابة عن السؤال التالي: ما هي اللغة؟

اذ تتوقف عليه الاجابة عن سؤال اخر هو: كيف صنع هذا العمل؟ اي ان العمل النقدي يرتبط مباشرة بالعمل اللغوي ولا يرتبط بالميدان الاخر الذي يحدده سؤال ما هو الادب؟)

وجوهرة النقد البنيوي هو التحليل وليس التقويم، اذ ليس من اهداف هذه النقد ان يصف عملاً بالجودة واخر بالرداءة، وانما هدفه الاساس ابراز كيفية تركيب العمل الادبي والمعاني التي تكتسبها عناصره عندما تتألف على هذا النحو، فالشكل الادبي عند البنيويين تجربة تبدأ بالنص وتنتهي معه، وكلما مضينا في القراءة التحليلية تكشفت لنا ابنية العمل الادبي.

يرفض البنيويون جملة من المفاهيم الشائعة في الساحة النقدية، لعل أهمها مفهوم(المؤلف الادبي(نظراً لما يشير اليه هذا المفهوم من معنى توحيد النصوص وصهرها في قالب واحد يقوم على التكامل والشمول ونظراً لارتباط هذا المفهوم بشخصية الكاتب بما يفترضه من علاقة مباشرة بين الانسان والعمل الادبي، كما يرفض هؤلاء النقاد فكرة التسجيل الواقعي التي تفترض اسبقية الموضوع على وجوده الكتابي،

وما يترتب على هذه الفكرة من صفات الصدق والاخلاص والامانة التي تنسب عادة الى الكاتب الجيد، وفي الوقت نفسه ينبذ البنيويون مبادئ الالهام والخلق الادبي ورسالة الكاتب او العمل الفني، اذ يرون ان الايمان بهذه المبادئ يؤدي في النهاية الى الغاء النص والقضاء على وجوده.

والنقد البنيوي يعد العمل الادبي كلا مكونا من عناصر مختلفة متكاملة فيما بينها على أساس مستويات متعددة تمضي في كلا الاتجاهين الافقي والرأسي في نظام متعدد الجوانب، متكامل الوظائف في النطاق الكلي الشامل، ويقترح بعض البنيويين هذه المستويات على النحو الاتي:

١- المستوى الصوتي حيت تدرس فيه الحروف ورمزيات تكويناتها الموسيقية من نبر وتنعيم وايقاع.
٢- المستوى الصرفي وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والادبي خاصة.
٣- المستوى المعجمي وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية والحيوية والمستوى الاسلوبي لها.
٤- المستوى النحوي لدراسة تأليف وتركيب الجمل وطرق تكوينها وخصائصه الدلالية والجمالية.
٥- مستوى القول لتحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الاساسية والثانوية.
٦- المستوى الدلالي الذي يشغل بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصور المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة التي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع، وتمارس وظيفتها على درجات في الادب والشعر.
٧- المستوى الرمزي الذي تقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد الذي ينتج مدلولا ادبياً جديداً يقود بدوره الى المعنى الثاني او ما يسمى باللغة داخل اللغة.

يرى النقاد والباحثون ان لهذا المنهج ايجابيات وسلبيات، أما الايجابيات فتتلخص في المتطلبات الصارمة التي يفرضها على قارئ الادب، اذ انه من الصعب – مثلاً – على القارئ الرواية الجديدة ان يكون مجرد هاوٍ للمتعة والتسلية، او ان يكون غير ملم بقواعد اللغة وفنون القول المختلفة، لكن هذا المطلب، في الوقت نفسه، يحد من انتشار الادب بسبب صعوبة العثور على عدد كبير من القراء يتحلى بهذا المستوى الممتاز الامر الذي يخلق نوعاً من (الارستقراطية(الادبية المحدودة، ومن إيجابياته ايضاً الروح النقدية العالية التي يتطلبها من القارئ، اذ يتطلب منه يقظة عالية وتغييراً جذرياً في عاداته المتلقية (الاستهلاكية) السلبية بحيث يشارك مشاركة ايجابية وفعالة في تصور امكانات النص وتوقع الحلول المختلفة للقضايا الفنية او الشكلية المعروضة، لهذا يقول احد النقاد البنيويين العرب(ليست البنيوية فلسفة، لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود، ولانها كذلك فهي تثوير جذري للفكر وعلاقته بالعالم وموقعه منه وبازائه، في اللغة لا تغير البنيوية اللغة، وفي المجتمع لا تغير البنيوية المجتمع، وفي

الشعر لا تغير البنيوية الشعر، لكنها بصرامتها واصرارها على الاكتناه المتعمق والادراك متعدد الابعاد، والغوص على المكونات، تغير الفكر المعاين للغة والمجتمع والشعر، وتحوله الى فكر متسائل، قلق، متوثب، مكتنة، متقص، فكر جدلي شمولي في رهافة الفكر الخالق وعلى مستواه من اكتمال التصوير والابداع(.

وأما سلبيات المنهج البنيوي فأهمها التجاوز المتعمد لعالم القيم الذي ينشأ فيه الكتاب ويتأثر به، مهما حاول التجرد منه او ترفع عليه في انتاجه الادبي، لان اللغة نفسها مجموعه من الرموز الاجتماعية واداة للتخاطب والتواصل، كما ان تجاهل عالم القيم يقضي على النقد البنيوي باستبعاد كل المضامين الاخلاقية والجمالية التي لا يمكن ان يخلوا منها أي عمل فني من المستوى الرفيع.

من اعلام المنهج البنيوي في الغرب، رولان بارت ونور ثروب فراي، وفي النقد العربي عبد السلام المسدي وكمال ابو ديب.

واليك إنموذجاً من النقد البنيوي، نقد قصيدة (صبوح) لابي نواس كتبه كمال ابو ديب في كتابه (جدلية الخفاء والتجلي) تجده في المختارات.

المصادر:

- فرويد: التحليل النفسي والفن، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
- كمال ابو ديب: جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩.
- ٣- محمد علي الكردي: النقد البنيوي بين الايديولوجيا والنظرية، مجلة فصول، العدد الاول- القاهرة – ١٩٨٣